الاقتداء بالأنموذج الفاطمي بوصفه إستراتيجيَّة إرشاديَّة في معالجة تحديات المرأة المسلمة في العصر الحديث

أ.د. هادي سعدون هنون العارضي

hadis.hannoon@uokufa.edu.iq

قسم اللغة العربية ، كلية التربية الأساسيَّة ، جامعة الكوفة / العراق

ملخص البحث

أثار فيَّ المحور الثالث من هذا المؤتمر العلمي الموقر: (السُبل العلاجيَّة لمواجهة تأثير الغزو الثقافي)، ما دار بيني وبين طلبتي في الكلية من سؤال وجهته إليهم في إحدى الأيام ضمن الساعة الإرشاديَّة المخصَّصة لمناقشة وعرض بعض التحديات والصعوبات التي تواجه الطلبة والطالبات في حياتهم اليوميَّة مؤداه: ما السُبل التي يمكن تفعيلها لمواجهة التحديات التي تواجهها المرأة المسلمة عامة والطالبة الجامعيَّة بصورة خاصة؟

الإجابات في حينها كانت متنوعة، وارتجالية، ولكنها تبقى تحمل همًّا واقعيًا يُعاني منه كثير من النساء اللواتي يتعرضن لتحديات الغزو الثقافي في الزمن الحاضر، وعلى الرغم من تفاوت الإجابات في الدقة والتمحيص كان هناك جوابًا مميزًا في حينها أثنينا عليه، وكان مقنعًا لكل من حضر الدرس، وسنبدأ في ذكر تفاصيله والبحث فيه ضمن هذا المؤتمر الذي سيحمل العنوان جزء من إجابته الإنموذجيَّة، والموسوم: **((الاقتداء بالأنموذج الفاطمي بوصفه إستراتيجية إرشادية في معالجة تحديات المرأة المسلمة في العصر الحديث))**، وجاء هذا العنوان ليحمل بعدًا قيميًا راسخًا، وعلاجًا إنموذجيًا لوسوسة النفس، وقدرة على المواجهة والتَّحدي، لتقديمه إنموذجًا قيميًا أصيلاً مستمدًا من التراث الإسلامي، وسيعمد البحث على خطّة واقعيَّة تستمد مقوماتها المعرفيَّة من التجربة الاجتماعية الراسخة في أذهان المجتمع الإسلامي بما يحمله من إرث إنساني إنماز به تراث أهل بيت النبوّة على مر العصور، لا سيما تراث السيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام، والحق عنوان البحث يتجاوز الدراسة البحثيَّة إلى المؤلف المستقل؛ لما تتطلبه فكرة البحث من تطبيقات ومباحث واسعة تقف عند مجموع المحاور التربويَّة، والنفسيَّة، والإرشاديَّة ، وتمثلاتها المعرفيَّة في الخطاب الفاطمي؛ لذلك سنقف عند نماذج تطبيقيَّة مكثفة وموجزة لسعة المادة المدروسة وعلى وفق المطالب الآتيَّة:

المطلب الأول: حلول التحدي النفسي والقيمي للمرأة المسلمة في تراث السيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام ويتضمن الحديث عن تحدي بناء الشخصيَّة القياديَّة، وتحدي الثبات وحمل الهويَّة الإسلاميَّة للمرأة المسلمة، وتحدي تحمل المسؤوليَّة المجتمعيَّة والوقوف بوجه الصعوبات والتحديات.

المطلب الثاني : الأنموذج التربوي المرشد في شخصيَّة السيدة الزهراء عليها السَّلام، ويتضمن الحديث عن تحدي الثبات على القدوة، والصبر والثبات الانفعالي في مواجهة التحديات.

المطلب الثالث: آليات تطبيق الأنموذج الفاطمي في وعي المرأة، ويتضمن الحديث في تطبيقات المثال عند السيدة الزهراء عليها السلام في البرامج الإعلاميَّة التوعوية في المؤسسات الثقافيَّة، والمحاضرات الإرشاديَّة في المدارس والجامعات العربيَّة، بعدها ستأتي خاتمة ونتائج البحث، ومن ثم قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحيَّة: الأنموذج الفاطمي، الإرشاد القيمي، المرأة المسلمة، الوعي، التحديات المعاصرة

DOI:

Emulating the Fatimid Model as a Guidance Strategy for Addressing the Challenges of Muslim Women in the Modern Era

Prof. Dr. Hadi Saadoun Hannoon Al-Aradhi

University of Kufa / Iraq

Abstract

The third theme of this esteemed scientific conference, entitled *"Therapeutic Approaches to Confront the Impact of Cultural Invasion,"* prompted a reflective academic inquiry rooted in a dialogue conducted with university students during an advisory session devoted to discussing contemporary challenges faced by male and female students. The central question posed was: *What effective approaches can be activated to confront the challenges facing Muslim women in general, and female university students in particular?*

The responses at the time were diverse and largely spontaneous; nevertheless, they reflected a genuine concern rooted in lived reality, especially in light of the cultural pressures experienced by many Muslim women in the contemporary world. Despite variations in precision and analytical depth, one response stood out for its clarity and persuasiveness, earning collective approval from the audience. This response constitutes the conceptual nucleus of the present study, which bears the title: "Emulating the Fatimid Model as a Guidance Strategy for Addressing the Challenges of Muslim Women in the Modern Era."

This title embodies a deeply rooted value-based dimension and presents an exemplary remedial approach to inner psychological conflict, empowering women with resilience, resistance, and the capacity for constructive confrontation. The study proposes an authentic value-oriented model derived from Islamic heritage and adopts a realistic research framework grounded in the accumulated social experience of the Islamic community and its rich human legacy, particularly as embodied in the heritage of the Ahl al-Bayt (the Prophet's Household), with special emphasis on Lady Fatima al-Zahra (peace be upon her).

Given the breadth of its conceptual scope and applied dimensions across educational, psychological, and guidance-related fields, the topic arguably exceeds the limits of a conventional research paper and lends itself to an independent monographic study. Accordingly, this research focuses on selected, concise applied models aligned with the following sections:

First Section: Psychological and value-based solutions to the challenges facing Muslim women in the legacy of Lady Fatima al-Zahra (peace be upon her), addressing issues such as leadership personality formation, steadfastness in maintaining Islamic identity, and assuming social responsibility in the face of difficulties and challenges.

Second Section: The guiding educational model embodied in the personality of Lady Fatima al-Zahra (peace be upon her), with emphasis on adherence to exemplary role modeling, patience, and emotional resilience when confronting adversity.

Third Section: Mechanisms for applying the Fatimid model in women's awareness, including its practical activation through awareness-oriented media programs in cultural institutions and guidance lectures in Arab schools and universities.

The study concludes with a summary of findings and recommendations, followed by a list of sources and references. Through this framework.

Keywords: Fatimid Model, Value-Based Guidance, Muslim Women, Awareness, Contemporary Challenges.

DOI:

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي أبدع السمواتِ والأرضَ بقدرته، وأشرق الكونُ بأنوار فضله وعظمته، فأرسى في الأرض أوتادها بحكمته، وجعل لها هداةً من خلقه، واصطفى فيها أهلَ بيت نبوّته منارات للهداية، وكواكبَ تهدي عباده في مسالك الحق، فطهّرهم من الرجس تطهيرًا، وفضّلهم تفضيلًا.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد هُداة الإنسانيَّة وسفينة نجاتها، وبعد...

أ ثار فيَّ المحور الثالث من هذا المؤتمر العلمي الموقر: (السُبل العلاجيَّة لمواجهة تأثير الغزو الثقافي)، ما دار بيني وبين طلبتي في الكلية من سؤال وجهته إليهم في إحدى الأيام ضمن الساعة الإرشاديَّة المخصَّصة لمناقشة وعرض بعض التحديات والصعوبات التي تواجه الطلبة والطالبات في حياتهم اليوميَّة مؤداه: ما السُبل التي يمكن تفعيلها لمواجهة التحديات التي تواجهها المرأة المسلمة عامة والطالبة الجامعيَّة بصورة خاصة؟

الإجابات في حينها كانت متنوعة، وارتجالية، ولكنها تبقى تحمل همًّا واقعيًا يُعاني منه كثير من النساء اللواتي يتعرضن لتحديات الغزو الثقافي في الزمن الحاضر، وعلى الرغم من تفاوت الإجابات في الدقة والتمحيص كان هناك جوابًا مميزًا في حينها أثنينا عليه، وكان مقنعًا لكل من حضر الدرس، وسنبدأ في ذكر تفاصيله والبحث فيه ضمن هذا المؤتمر الذي سيحمل العنوان جزء من إجابته الأنموذجيَّة، والموسوم: ((الاقتداء بالأنموذج الفاطمي بوصفه إستراتيجيَّة إرشاديَّة في معالجة تحديات المرأة المسلمة في العصر الحديث))، وجاء هذا العنوان ليحمل بعدًا قيميًا راسخًا، وعلاجًا إنموذجيًا لوسوسة النَّفس، وقدرة على المواجهة والتَّحدي، لتقديمه أنموذجًا قيميًا أصيلاً مستمدًا من التراث الإسلامي، وسيعمد البحث الى خطّة واقعيَّة تستمد مقوماتها المعرفيَّة من التجربة الاجتماعيَّة الراسخة في أَذهان المجتمع الإسلامي بما يحمله من إرث إنساني إنماز به تراث أَهل بيت النبوّة على مر العصور، لا سيما تراث السيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام، والحق عنوان البحث يتجاوز الدراسة البحثيَّة إلى المؤلف المستقل؛ لما تتطلبه فكرة البحث من تطبيقات ومباحث واسعة تقف عند مجموع المحاور التربويَّة، والنفسيَّة، والإرشاديَّة ، وتمثلاتها المعرفيَّة في الخطاب الفاطمي؛ لذلك سنقف عند نماذج تطبيقيَّة مكثفة وموجزة لسعة المادة المدروسة بناء على المطالب الآتيَّة:

المطلب الأول: حلول التحدي النفسي والقيمي للمرأة المسلمة في تراث السيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام ويتضمن الحديث عن

- تحدي بناء الشخصيَّة القياديَّة
- تحدي الثبات وحمل الهويَّة الإسلاميَّة للمرأة المسلمة.
- تحدي تحمل المسؤوليَّة المجتمعيَّة والوقوف بوجه الصعوبات والتحديات.

المطلب الثاني: الأنموذج التربوي المُرشِد في شخصيَّة السيدة الزهراء عليها السَّلام ويتضمن الحديث عن:

- تحدي الثبات على القدوة.
- تحدي البناء الأسري.
- الصبر والثبات الانفعالي في مواجهة التحديات.

المطلب الثالث: آليات تطبيق الأنموذج الفاطمي في وعي المرأة، ويتضمن الحديث في تطبيقات المثال عند السيدة الزهراء عليها السَّلام في:

*- البرامج الإعلاميَّة التوعوية في المؤسسات الثقافيَّة.

*- المحاضرات الإرشاديَّة في المدارس والجامعات العربيَّة، بعدها ستأتي خاتمة ونتائج البحث، ومن ثم قائمة المصادر والمراجع، ويسعى البحث في خطته البحثيَّة السابقة لتحقيق الأهداف الآتية:

*- البحث عن إنموذج مثال يُساعد المرأة المسلمة في معالجة التحديات المعاصرة، وما تحمله الثقافة الغربيَّة من نماذج خطيرة تهدد كيان المجتمع الإسلامي.

*- إثبات إمكانيَّة البحث عن أَمثلة قيميَّة عليا من النساء في مجتمعاتنا العربيَّة الإسلاميَّة.

DOI:

*- الكشف عن القيم التربويَّة العليا في خطاب السيدة الزهراء عليها السَّلام خاصَّة ونساء بيت النبوَّة بشكل عام عن طريق الوقوف عند مواقف السيدة الزهراء عليها السَّلام، وأثر تطبيق الأنموذج الفاطمي في تحقيق الاتزان النفسي والهوية الإيمانية لدى المرأة المسلمة.

*- العمل على اقتراح آليات عمليَّة تطبيقيَّة في توظيف المثال الفاطمي؛ لبناء تصور إرشادي قادر على تنمية التوازن النفسي لدى المرأة، داعين من الله سبحانه وتعالى دوام التوفيق والسداد...

المطلب الأول

حلول التَّحدي النفسي والقيمي للمرأة المسلمة في تراث السيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام

المقايسة العمليَّة في البحث العلمي تتطلب وجود قرينة تطبيقيَّة يقابلها قرينة نظريَّة تبنى على أساس تمثلات الجانب التطبيقي بين الطرفين، وفي دراستنا البحثيَّة ستمثل السيدة الزهراء عليها السَّلام القرينة التطبيقيَّة للمعالجة العملية التي تقدم حلولًا للتحديات التي تواجه المرأة المسلمة، وعلى أساسها أو منها سنستنبط، ونبني الوصفة العلاجيَّة لكل تحدي من تلك التحديات التي تواجه المرأة على المستويين النفسي والقيمي، وعلى وفق العناصر الآتية:

أولا: تحدي بناء الشخصيَّة القياديَّة:

يمكن في بداية هذه النقطة إثارة سؤال مهم يقوم على أساس: لما كان الله سبحانه وتعالى قد خلق النَّاس بقدرات جسدية تكاد تكون واحدة لولا تدخل الجانب الوراثي فيها، فلماذا هذا التمايز بين شخص وشخص آخر في قوة الشخصيَّة؟؟

مما لا شك فيه يمر الإنسان بمراحل متعددة من البناء البيئي والنفسي والقيمي، عبر حياته الإنسانيَّة ، ويبدو هذا التفاوت يبدأ من كيفية الإفادة القصوى من إيجابيات تلك المراحل البنائيَّة لشخصيته، فهو يعيش حالة التحدي النفسي والقيمي؛ ليثبت نوعيَّة الشخصيَّة التي يريدها على وفق مسارات أخلاقيَّة ذات قيمة عليا في المجتمع، وكلما اعتنى الفرد بتلك القيم، وعالجها نفسيًا أصبح قادرا على مواجهة التحديات الهدامة لعناصر شخصيته، وفي تصوري التأثر والاختيار ومن ثم اقتداء المرأة المسلمة بشخصيَّة قياديَّة مثل السيدة الزهراء عليها السَّلام سيوفر لها إنموذجًا معرفيًا واعيًا نحو البناء النفسي والقيمي، ولعلنا نحتاج إلى تمثلات لهذه الشخصيَّة الواعيَّة في تراث السيدة الزهراء عليها السَّلام، وهذا ما يمكن رصد بوضوح فيما وجدناه من وصف سبق خطابها للقوم، وكيف خرَجت، وما تجليات القيم النفسيَّة والقيمية التي كانت عليها؟

عندما نعود لوصف كتاب بلاغات النساء في عرضه لخطاب السَّيدة الزَّهراء عليها السَّلام نجده يقول: ((لاثَت خِمَارَها عَلَى رَأسِها، وأقبَلَتْ في لمّة مِنْ حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله)) (ابن طيفور، ١٩٠٨م)، هذا النص على قصره يجيب على كثير من التساؤلات التي يمكن أن تثار حول كيفيَّة مواجهة المرأة للمشاكل والتحديات قبل الخوض في الحديث على المستوى الشكلي، وعلى المستوى اللفظي، والحق كان إبن طيفور (ت٢٨٠هـ)، واصفًا منصفًا لهياة، ومنطق السيدة الزهراء قبل الخطبة، فرصد بعمق مجموعة من الإشارات التي تُدلّل على الضبط الانفعالي للسيدة الزَّهراء عليها السَّلام قبل التوجه إلى المتلقي، وقد بينا في إحدى الملتقيات العلميَّة (العارضي، ٢٠٢٤م)،هذه الإشارات الدالة على ذلك وفق النقاط الآتية:

***- تحديد الشكل الذي يجب أن تكون عليه المرأة في حديثها مع الآخرين:**

وكأن ما نقل إلينا من وصف: ((لاثت خِمَارَها عَلَى رَأسِها، واشتملت بجلبابها، وأقبَلَتْ في لمّة مِنْ حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم...))، يعطينا حلًا، وتوصيَةً مؤداها: مهما كان عظم الحدث يجب على المرأة المحافظة على صورتها التي أراد لها الإسلام، والدفاع عن الحق أو المطالبة فيه لا يُنسيها الجانب النفسي، والقيمي، فنقل لنا الراوي الشَّكل الذي كانت عليه الزَّهراء عليها السَّلام قبل أن توجه كلامها للآخرين، فكما يظهر من الوصف العناية الفائقة بما يجب أن تكون عليه المرأة من شكل في خطابها المعرفي، ولعلنا نذهب أبعد من الجانب العقائدي فنقول :إن الشَّكل بحد ذاته تقنيَّة سلوكيَّة تفرض احترامها على الآخرين، فهذه الثِّياب الطويلَة والخمَار والمشيَّة ما هيَ إلا مُقدِّمَات حجَاجيَّة غير لفظيَّة الهَدف منهَا التَّأثِير، وهذا المِعيَار أكَان مقصودًا أم غير مقصُود له أثره في نجَاح الخِطَاب أو فشَله (العارضي، ٢٠٢٣م).

DOI:

***- عدم الضعف وإظهار قوّة الشخصيّة:**

شخصيَّة السيدة الزهراء عليها السَّلام على وفق ما وصف ابن طيفور إنمازت بالقوَّة السابقة للكلام، وهذا ما يجب أن تكون عليه المرأة، فمهما كان الظلم والقهر يجب ألّا تظهر المرأة الضعف أو الميوعة، وتعمل على التَّحكم والسيطرة في توجيه السلوك النفسي، والمبدأ القيمي فالسيدة الزَّهراء عليها السَّلام لم تُظهر الانكسار حتى في مشيتها، فيقول إبن طيفور في ذلك: ((...وأقبَلَتْ في لمّة مِنْ حفدتها ونساء قومها تَطأ ذيولها، ما تخرَّم مشيتها مشية رسُول الله)) (ابن طيفور، ١٩٠٨م)، فهي تشابه في مشيتها مشيت الرجال وأي رجال تشابه؟ فهي تشابه مشية أبيها نبي الأمة عليه أفضل الصلاة والسَّلام، وما تعتري هذه المشية من القوَّة، والهيبة، والوقار.

والحق قوّة الشخصيَّة والتحدي تظهر مؤشراته في مواضع كثيرة، ذكرها الواصف، فما تجليات الضبط الانفعالي ، وقوَّة الشخصيَّة امتناعها عن الحديث إلا بعد أن سكن نشيج القوم، وهذا ما وثقته الروايَّة التي تقُول : ((حتَّى دخَلت على أَبي بَكر وهو َ في حشدِ منَ المهاجرين والأنصَار فنيطَت دونها ملأة ثم أنَّت أنه أجهَش القوم لها بالبُكاء وارتجَّ المجلس فأمهَلت حتّى سَكن نشيجُ القوم وهدأت فورتهم)) (ابن طيفور، ١٩٠٨م)، فهذا الانضباط الانفعالي المتمثل في قوة الشخصيَّة عمدت إليه السيدة الزهراء عليها السَّلام، فهي تقنيَّة وظفتها لتعود بالمتلقي إلى ((ماضيه القَريب ، الَّذي كَان فيه مجدد العَهد لرسُول الله عليه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام ، وهذه ابنته وبضعته، وكأَنَّهَا بدأَت بإنارة موجزَة قد أغفلَها أَو نسَاهَا المُخاطب)) (العارضي، ٢٠٢٣م)، وهذا الأمر يذكرنا بموقف السَّيدة زينب عليها السَّلام في مجلس يزيد عندما وصفها الكاتب نفسه بقوله : ((ولم أرَ خفِرة- والله- أنطق منها ، كأنما تفرغ على لسان أبيها أمير المؤمنين -رضوان الله عليه -، وقد أَومأت إلى الناس أن اسكتوا فلما سكنت الأنفاس ، **وهدأت** الأجراس قالت ....)) (ابن طيفور، ١٩٠٨م)، فهي تشابه في صوتها صوت أَبيها علي بن أبي طالب عليه السَّلام ، وما يعتري هذا الصوت من القوة والصلابة التي فرضت على الناس قطع الأصوات ، والأجراس ، فلم تتكلم إلا بعد الصمت الكلي من قبل الجمهور ، فحققت بذلك شرط من شروط الخطاب الناجح الذي لا يغفل نوعيَّة الجمهور (الحباشة، ٢٠٠٨م)، وعلى وفق هذه السمات قدَّمت السَّيدة الزَّهراء عليها السَّلام إنموذجًا واعيًا للمرأة المسلمة في واجبها اتجاه مجتمعها، وهذا يحتم على المرأة المسلمة في العصر الحديث الدّفاع عن قضايا أمتها بما يخدم أهدافه الساميَّة، وعدم الانقياد للأفكار المسمومة التي تحاول خلط المعايير للحصول على فئة مطاوعة لتحقيق أهدافها في زعزعت القيم الإنسانيَّة، لا سيما القيم السماويَّة التي أقرها الله سبحانه وتعالى على عباده؛ وتعد تمثلات المواجهة القيمية التي نادت بها السيدة الزهراء عليها السَّلام إنموذجًا شرعيًا وقيميًا للمرأة المسلمة في الدفاع عن هويتها القائمة على التَّمسك بالرسالة السماويَّة المنزلة على نبيه الصادق الأمين عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام ، فأظهرت في واقعيتها شخصيَّة المرأة الثابتة التي يؤخذ منها قوَّة الإرادة ، ووضوح الفكرة ،وسمو الهدف، فظهرت بشخصيّة الثابت الواثق بفكرته على الرغم من الصَّد والتَّحدي والإصرار على الباطل من قبل المتحاورين، فأظهرت في خطابها صورة واضحة للتحديات النفسيَّة، والقيميَّة بسلوك يوضح قوَّة الشخصيَّة الذي يجب أن تتماز به المرأة المسلمة على مر العصور المختلفة.

ثانيًا: الثبات وحمل الهويَّة الإسلاميَّة للمرأة المسلمة:

يُعد الصبر والثبات على الموقف من سمات الشخصيَّة القياديَّة الناجحة في التأثير على حياة الفرد والمجتمع، وعندما تكون القيادة في عرف المختصين تعني قدرة الفرد في التأثير على شخص أو مجموعة من الأشخاص وتوجيههم وإرشادهم من أجل كسب تعاونهم وحفزهم على العمل في سبيل تحقيق الأهداف الموضوعة (المغربي، ١٩٩٥م)، فهي لا تغادر منهج أهل بين النبي صوات الله عليهم أجمعين الذين اتسموا بقدرتهم على حمل سمات هذه القيادة عن طريق التنظيم والتوجيه المستمر لأفراد المجتمع للتحرك في الاتجاه السليم؛ ليقدموا أفضل ما لديهم لتحقيق الأهداف الإنسانيَّة السامية (الفكيكي، العدد (٥٦)، الجزء (١))، وفي هذا الصدد في تصوري تجنب الرؤية التي تدخل أهل البيت عليهم السَّلام في الحراك السياسي الذي غالبًا ما يشوبه التملق والتلون والكذب الذي لا يرتضيه أهل البيت.

وعلى الباحثين المحدثين الابتعاد عن الرؤية التي تتبنى الجانب السياسي في حياة أهل البيت النَّبوي (الفكيكي، العدد (٥٦)، الجزء (١))، والتي كرَّسوها في بناء المجتمع على وفق رؤية موحدة تقوم على أساس الصدق والثبات على الموقف، فموقفهم إصلاحي لا سياسي، فكان الهدف من قيادة الأمة هو الإصلاح، والثبات على الموقف والتصدي للانحرافات المجتمعيَّة من أسمى أهداف البيت

DOI:

النبوي، فانمازت شخصياتهم بالثبات والقوة اتجاه أكبر التحديات التي واجهتهم، وهذا ما نجده في خطاب السيدة الزهراء عليها السَّلام، وهي تواجه السلطة من دون أي تردد، وتحذر في الوقت نفسه الأمة من الانحرافات الفكريَّة الخطيرة، والتي يمكن رصد تمثلاتها في خطاب السيدة الزهراء عليها السَّلام على وفق الآتي:

***- الانحراف الأول: الخروج عن توجيهات القرآن الكريم:**

وهذا ما أشارت له بعبارة صريحة في قولها عليها السَّلام: ((تَرَكتُم كِتَابَ اللهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُم)) (ابن طيفور، ١٩٠٨م)، وهي بذلك تنبه النَّاس وتحذرهم من خطورة ما يحصل، وما يمكن أن يؤديه هذا الفعل من تشتت في حياة الفرد والمجتمع، وهذا ما حصل فعلًا في العصور اللاحقة في حياة الأمة الإسلاميَّة، فوقفت بوصفها امرأة مسلمة حاملة لإرث ديني لتؤدي أثرها الإصلاحي من دون خوف ولا رهبة، وهذا ما يمكن أن ينطبق على واجب أي امرأة مسلمة تواجه تحديات الانحرافات المجتمعيَّة الداعية لتشتت وحدة المجتمع.

***- الانحراف الثاني: الخروج عن وصيَّة وتوجيهات النبي محمد عليه الصلاة والسَّلام:**

تستمد المرأة المسلمة متبنياتها القيميَّة من توجيهات القرآن الكريم، والتوصيات النبويَّة الشريفة، وهي رؤيَّة إلهية راسخة في حياة المجتمع الإنساني قائمة على أساس قوله تعالى في أكثر من موضع في كتابه العزيز: ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) (سورة آل عمران: ١٣٢، سورة الناس: ٥٩، سورة المائدة:٩٢، وسورة الأنفال:١، والآية: ٢٠، سورة النور:٥٤، سورة محمد:٣٣، وغيرها))، لذلك قامت السيدة الزهراء عليها السَّلام بضرورة الحذر من الانحراف عن توجيهات النبي، ووصيته بقولها: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، فَإِنْ تَعْرِفُوهُ، تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ آباءكم، وَأَخَا ابنِ عَمّي دُونَ رِجالِكُم)) (ابن طيفور، ١٩٠٨م)، فقامت بتنبيه الأمة إلى خطورة هذا الانحراف الذي كلَّف الأمة الإسلاميَّة قوتها الإنسانيَّة عندما تحولت من المبدأ الرسالي الصانع للقيم الإنسانيَّة إلى مجموعة من المصالح الضيقة، فتفرق القوم نتيجة الرغبات والمصالح الفرديَّة التي حذر منها النبي عليه أفضل الصلاة والسَّلام.

***- الانحراف الثالث: الخروج عن الإمامة:**

تتعاضد المصادر المؤكدة لعمق الصلة بين نبي الأمة عليه أفضل الصلاة والسلام، والإمام علي بن أبي طالب عليه السَّلام بصورة خاصَّة، وأهل بيت النبوَّة عليهم السلام بصورة عامَّة من بينها على سبيل المثال لا الحصر: ماورد عن النبي عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام قوله: ((أيُّها النَّاس من أَولى النَّاس بالمؤمنين من أَنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه، يقولها ثلاث مرات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات ثم قال :اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبَّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرَّب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي))

(الأميني، ١٩٩٤م)، فحذرت السيدة الزهراء بخطورة الخروج عن الإمامة بقولها : ((للهِ فِيْكُم عَهْدٌ قَدْ مَدّه إِلَيْكُم ، وَنحن بَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُم ومعنا كِتَابُ اللهِ بينة بصائره وآي فينا منكشفة ، مُنْكَشِفَةً سَرَائِرُهُ ، مُنْجَلِيَةً ظَوَاهِرُه ،مديم البرية أسماعه قَائِدٌ إلى الرِّضوانِ اتِّبَاعُهُ ، مُؤَدٍّ إلى النَّجَاةِ اسْتِمَاعُهُ ، فيهِ بيان حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ ، وَعَزَائِمُهُ المُفسَّرة ، وَمَحَارِمُهُ المُحَذِّرَةُ ، وَتبيانه الجَالِيةُ ، وجمله الكَافِيَةُ ، وَفَضَائِلُهُ المَنْدُوبَةُ ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ ، وَشَرَائِعُهُ المَكْتُوبَةُ)) (ابن طيفور، ١٩٠٨م).

وعند تعميق النظر في هذه الانحرافات، والتنبيه بخطورتها نجدها تشكل جزء لا يتجزأ من رسالة أهل البيت الإرشاديَّة، وشخصيتهم القياديَّة الإصلاحيَّة، فمجمل خطاب السيدة الزهراء عليها السَّلام يقف عند هذه الأساسيات؛ لينبه الأمة من الانجرار إلى تلك المخاطر التي ستفضي إلى تفرقها ومن ثم ضعفها، والسَّيطرة عليها، وهذا ما نشاهد مصاديقه اليوم في الأمة الإسلاميَّة، ولا شك أن السَّيدة الزَّهراء عليها السَّلام لم تخض الحوار إلا بعد أن حلّلت المشكلة وشخصت الظروف العامة التي تحيط بالمتلقين مما يعطي خطابها المعرفي القبول والنجاح، فلن يحقق الحوار الخطابي نجاحه من دون أن يراعي المتكلم الظروف النفسيّة والسمات العامة ، والوسط الثقافي من معتقدات ومسلمات المتلقين (الأمين، ٢٠٠٨م).

DOI:

المطلب الثاني

الأنموذج التربوي المُرشِد في شخصيَّة السيدة الزهراء عليها السَّلام

يحتاج الفرد من أَجل أن يتماسك ضمن المنظومة المجتمعيَّة مجموعة من القيم التربويَّة الملهمة في عمليَّة الوقوف ضد التيارات المعاكسة، ولعل اختيار الأنموذج المُرشِد في مواجهة هذا السيل من التحديات يُعد من أَهم عناصر المقاومة، والوقوف بوجه تلك التيارات المنحرفة، وستجد المرأة إنموذجها المُرشِد في شخصيَّة السيدة الزهراء عليها السَّلام بما إنمازت به من سمات الشخصيَّة المرشِدة التي سنتتبع أثرها الإرشادي في الأمور الآتيَّة:

أولا: تحدي الثَّبات على القدوة:

النصوص التأريخيَّة التي بين أيدينا ورثناها عن السيدة الزهراء عليها السَّلام على قلتها الا أنها تعطي صورة واضحة عن أبعاد تلك الشخصيَّة ومواقفها اتجاه دينها، ومسؤوليتها اتجاه مجتمعها، فحثته بالنصح والإرشاد، والتوجيه على الرغم من صعوبة الموقف، ورأينا في المبحث السابق عمق تلك المواقف، وقوَّة الثبات على القدوة، فحرصت كل الحرص على الالتزام بالثوابت الدينيَّة المتمثلة : (القرآن الكريم– الحديث النبوي– إمام زمانها)، ولا نريد الخوض في تفاصيل هذه المتبنيات العليا في توجهات السيدة الزهراء عليها السَّلام، فقد وقفنا عنده في مؤلف خاص (العارضي، ٢٠٢٣م)، بقدر ما نركز على ثبات موقفها اتجاه تلك القيم العليا الراسخة في دعوتها الناس، فأظهرت في خطابها حرصها، ودعوتها للاقتداء بتلك القيم العليا، وعدم التفريط فيها، والإعلان عن مخاطر تركها المستقبلية؛ فأحصينا في دراسة سابقة دعوتها الإرشادية للالتزام بالقرآن الكريم ما نسبته (٤٥) مرة والحديث النبوي ما نسبته (١٥) مرة ، التزام جانب أهل بيت النبوة والسير على نهجهم بما نسبته (٢٠)مرة ، وهذه الإحصائية لخطبة واحدة (العارضي، ٢٠٢٤م)،ولو وضعنا مخططًا يوضح نسبة توظيف هذه المحاور الثلاث لكان على النحو الآتي :

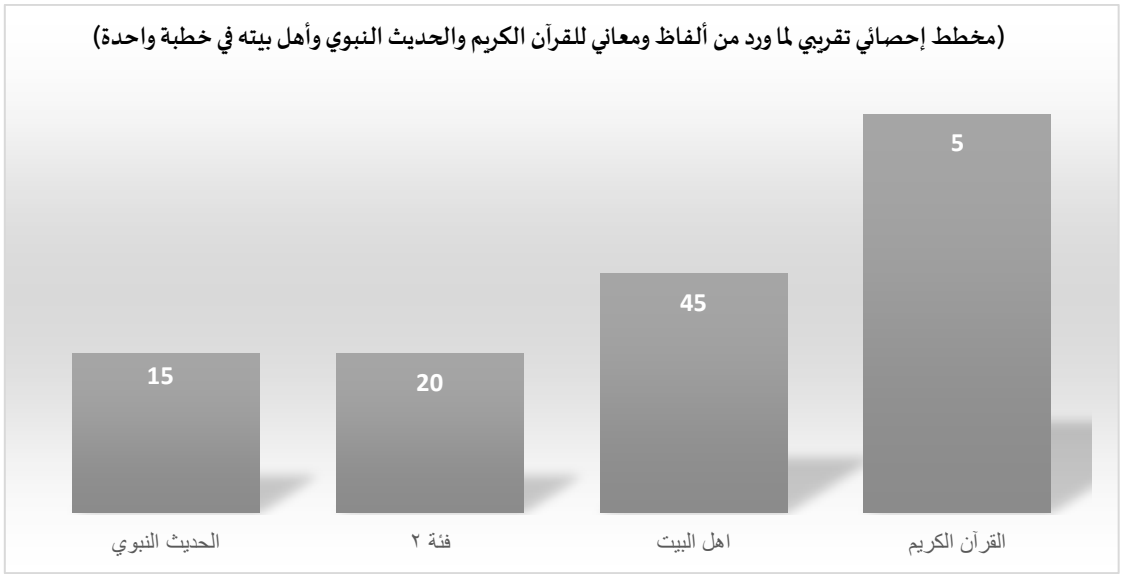

وهذه الدعوة الإرشاديَّة، والثبات عليها لا تأتي منفصلة بعضها عن بعض، وإنما تأتي متضافرة منسجمة يأخذ بعضها برقاب بعض؛ لإثبات قدوة هذه المرتكزات في بناء المنظومة المجتمعيَّة، وهي فكرة متساوقة مع الحديث النبوي الشَّريف المعروف بحديث الثقلين الذي يقول فيه: ((وأني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كِتَاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)) (، أحمد بن حنبل؛ رقم أحاديثه ، محمد عبد السلام عبد الثاني، ١٩٩٣م)، وهذه النسب الحاضرة من الإرشاد القيمي في الخطاب الإصلاحي للسيدة الزهراء عليها السَّلام تعطينا صورة واضحة على ضرورة الثبات على المواقف والتحديات من طريق الاستعانة بالأنموذج القدوة؛ لما يوفره من حلول جذريَّة لكثير من المشكلات والصعوبات.

ثانيًا: الصبر والثبات الانفعالي في مواجهة التحديات:

DOI:

في العودة لوصف ابن طيفور في كتابه بلاغات النساء لشخصيَّة السيدة الزهراء عليها السَّلام يجد عناصر الصبر والثبات الانفعالي واضحة في مواجهة التحديات، فهي على وصف الكاتب لم تضعف، بل وجدت في القوم الضعف والبكاء لما ارتكبوه اتجاهها، فبدت تمتلك هذا الإرث القيمي في دعوتها الإصلاحيَّة من دون تردد، وبطريقة جعلت المتلقي يذعن لها ويبكي قبل الخطاب: ((حتَّى دخَلت على أَبي بَكر وهوَ في حشدِ منَ المهاجرين والأنصَار فنيطَت دونها ملأة ثم أنَّت أنّة أجهَش القوم لها بالبُكاء وارتجَّ المجلس فأمهلت حتّى سَكن نشيجُ القوم وهدأت فورتهم)) (ابن طيفور، ١٩٠٨م)، فقدَّمت ثباتًا انفعاليًا متزنًا في تعاملها مع الموقف كشف عن قدرتها التأثيريَّة في مجموع المخاطبين حتى روي قولهم: ((فَما رأَينا يومًا كان أَكثر باكيًا ولا باكيةً من ذلك اليَوم)) (ابن طيفور، ١٩٠٨م)، فعظم هذه الشخصيَّة الثابتة الصابرة بدأت بأنَّة أبكت القوم على مواقفهم المنحرفة، فما حجم تأثيرها الإرشادي الفكري والقيمي عليهم؟

فهذه الصورة الوصفيَّة السابقة لخطاب السيدة الزهراء عليها السَّلام تعطي نتيجة معمقة لقوَّة، وثبات موقفها اتجاه قضايا عصرها، والفهم العميق لحالات المخاطبين النفسيَّة من جهة أخرى، فانمازت بقدرتها على احتواء الحالات النفسيَّة المتأزمة عند المتلقي بعد أن طَمَعَت تلك النفوس بما في هذه الدنيا من رغبات، فخرجت من سطوة العقل فاحتواها الخطاب الفاطمي بإسلوبه الوعظي المغلف بحركة العقل ، والجمع بين اللين والشدَّة ، وتذكير الأمة ووعظها من أجل احتواء تلك النفوس الشاذة ، فعملت على التزام الجانب الموضوعي ، والحقائق التي تشير إلى ما هو مشترك عند عدد كبير من المتلقين، ويمكن أن يكون مشتركًا عند الجميع (بنو هاشم، ٢٠١٤م)، فعملت على استثمار القيم المعرفيَّة المؤثرة في قناعات المتلقي، لا سيما الطاقات التصويريَّة للآيات القرآنيَّة، والأحاديث النبويَّة ، والفنون الأدبيَّة العربيَّة ،وتوظيفها لتصوير دقائق الأمور التي ترسم فداحة الحدث في قلوب السامعين بالتوظيف الأمثل لآيات القرآن الكريم في المواضع الملائمة للموقف في النص (العارضي، ٢٠١١م)، والحق إن السيدة الزهراء عليها السَّلام قدَّمت خطابًا لاذعًا للقوم، ولم تتهاون في موقفها من السلوكيات المنحرفة من أبناء المجتمع، ونجد مصاديق هذا الخطاب قولها: ((وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ، مُذْقَةَ الشَّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقِبْسَةَ العَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ القِدَّ أَذِلَّةً خَاسِئِينَ، تَخَافُونَ أَنْ يختطفكم النّاس مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأَنْقَذَكُمُ اللّـهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى برسوله صلى الله عليه وسلم)) (ابن طيفور، ١٩٠٨م)، فالشخصيَّة القويَّة الواثقة من رؤيتها لا تقف عند حدود المجاملة أو السكون والتفرج على الأحداث، وإنما تقدم صدمَّة لاذعة للآخرين لتشعرهم بخطورة، وفداحة ما ذهبوا إليه، وعلى هذا الأساس تعد هذه القيمة المعرفيَّة واحدة من أهم السمات التي يقتدى بها من قبل المرأة المسلمة.

المطلب الثالث

آليات تطبيق الأنموذج الفاطمي في وعي المرأة

إنَّ عملية اكتشاف الأنموذج الإنساني المؤثِّر في وعي الفرد وبناء المجتمع لا تتحقق بصورة عفويَّة، فهي تقوم على جملة من الآليات المعرفيَّة والتربويَّة التي تتكفّل النخب الواعيّة بصياغتها وتفعيلها، وتُعدّ مسألة الكشف عن الأنموذج الإرشادي القادر على توجيه وعي المرأة من القضايا المركزيَّة في الفكر التربوي في جميع العصور؛ لما لها من أثر مباشر في تشكيل البنية النفسيَّة والقيميَّة للفرد، وفي تحقيق الاستقرار الاجتماعي وتكامل المنظومة الأخلاقيَّة للمجتمع.

وعلى هذا الأساس التصوري، لا يمكن قياس وعي المجتمعات المتقدمة على أساس تراكم المعارف وحده، بقدر ما يُقاس بقدرة أفرادها، ولا سيما طبقتها الواعية، على توظيف تلك المعارف في بناء الإنسان، وتحويلها إلى سلوك فعّال وممارسة مسؤولة، ومن هنا تبرز الحاجة إلى توجيه الوعي المجتمعي نحو اختيار أنموذج إنساني أصيل يقدّم رؤية متكاملة للمرأة، بعيدًا عن الصور النمطية والقراءات التجزيئية التي أفرزتها بعض الخطابات الحديثة، ويأتي الأنموذج الفاطمي في هذا السياق بوصفه أحد أبرز النماذج الإنسانيَّة القادرة على بناء وعي المرأة في أبعاده القيميَّة والتربويَّة الشاملة؛ إذ لم تُقدَّم شخصية السيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام بوصفها رمزًا تعبديًا مجردًا، إنَّما أنموذجًا معرفيًا وسلوكيًا متكاملًا، جمع بين عمق الإيمان، ونضج الوعي، وفاعلية الأثر الاجتماعي. وقد تجلّى هذا التكامل في قدرتها على تحقيق التوازن بين الذات والرسالة، وبين الخصوصية الفردية والمسؤولية العامة، بما يجعل الاقتداء بها فعلًا إرشاديًا قابلًا للتشغيل في مختلف البيئات الثقافية.

DOI:

وعلى أساس ما تقدم يسعى هذا المبحث إلى تجاوز توصيف الفضائل إلى مقاربة الأنموذج الفاطمي من زاوية آليات التشغيل والتفعيل، عبر الكشف عن السبل التي يمكن عن طريقها نقل هذا الأنموذج من حيّز المثال النظري إلى مشروع معرفي وتربوي يسهم في بناء وعي المرأة في العصر الحديث، وتمكينها من تحقيق التكامل النفسي، والمشاركة المجتمعيَّة الواعية. ويتطلب هذا التحويل اعتماد جملة من آليات الاشتغال المعرفي، نقتصر في هذا المطلب على بيان أهمها.

أولًا: البرامج الإعلامية التوعوية في المؤسسات الثقافيَّة

تُعدّ البرامج الإعلاميَّة إحدى أهم الأدوات المؤثرة في صناعة الوعي المجتمعي، لما تمتلكه من قدرة على توجيه الرأي العام وصياغة التصورات والقيم، غير أن الكثافة الإعلامية السائدة، على الرغم من اتساعها، لا تكفي بذاتها ما لم تُضبط بأهداف معرفيَّة واضحة تسهم في ترسيخ ثقافة اختيار الأنموذج الإنساني المؤثِّر، ومن هنا تبرز الحاجة إلى برامج إعلامية توعويَّة واعية تتجاوز الطرح الاستهلاكي أو الوعظي التقليدي، لتؤدي أثرها الإرشادي الحقيقي، وتبقى البرامج الإعلاميَّة التوعويَّة التي نحتاجها لنشر ثقافة اختيار الأنموذج الفاطمي مرهونة بجملة من الأسس الرئيسة، يصعب تناولها جميعًا في هذا الموضع؛ لذا سنقف عند أهمها وعلى وفق الآتي:

***- التركيز على البعد المعرفي الواعي في الشخصية الأنموذج:**

تعتمد بعض البرامج الإعلاميَّة في تقديم الشخصيات المثال على الخطاب الوعظي والخطابي، مع إغفال البعد المعرفي والتحليلي في تكوين تلك الشخصيات، فتكتفي بسرد الفضائل بصورة تاريخية مكررة من دون الكشف عن آليات الوعي التي شكّلت فاعليتها في المجتمع، وهذا الأسلوب، على الرغم من أثره العاطفي، يبقى محدود الفاعليَّة في بناء وعي نقدي وإرشادي مؤثر، وعلى هذا الأساس تقتضي آليات تشغيل الأنموذج الفاطمي تسليط الضوء على الجوانب الإرشاديَّة الواعية في شخصية السيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام، ولا سيما خطابها المعرفي في مواجهة السلطة والواقع الاجتماعي.

ومن الأخطاء الإعلاميَّة الواضحة على سبيل المثال لا الحصر في هذا الموضع اختزال خطابها في عنوان : ((الخطبة الفدكية))، فهو عنوان يُفضي إلى حصر هذا النص في بعده الحقوقي الضيق، مع أن مضمونه المعرفي تجاوز قضية فدك ليشكّل خطابًا تحذيريًا عميقًا لمجتمع كان يشهد تحولات خطيرة في بنيته القيمية والسياسية، والحق لا يمكن استبعاد هذه التسميَّة من أهداف، وقصديَّة من سماها بهذا الشكل إلا لتحريف مضامين هذا الخطاب الواعي من حيثياته المعرفيَّة وأثرها في المجتمع بما يحمله المتكلم من إرث البيت النبوي، فغيِّبت قدرة المتكلم على المواجهة والتحدي على الرغم من الصعوبات الحاضرة، وكذلك عمق المسؤوليَّة التي يجب ان تتحملها المرأة في حالة غياب الرجل أو من يطالب بالحقوق، وغيبت كذلك الثبات على الموقف ورجحان الخطاب المؤثر في وعي المخاطبين.

وعلى ذلك يجب إعادة قراءة هذا الخطاب بوصفه نموذجًا للوعي النسوي المسؤول تكشف عن قدرة المرأة على المواجهة الواعية، وتحمل المسؤولية في لحظات الغياب أو التراجع، والثبات على الموقف، وامتلاك خطاب معرفي مؤثِّر في وعي المتلقين، وهو ما يستدعي من البرامج الإعلامية المعاصرة إعادة تقديم الأنموذج الفاطمي بوصفه مشروعًا إرشاديًا قابلًا للتطبيق، لا مجرد رمز تاريخي منزوع الأثر.

***- إثارة الذهن بدل إعطاء الأجوبة الجاهزة:**

مما لا شك فيه بأنّ الخطاب الإعلامي له آلياته المختارة التي يحددها صانع المحتوى الإعلامي على وفق الهدف المراد تحقيقه، وفي تصوري آلية التوجيه والإرشاد الإعلامي للشخصيَّة الأنموذج يجب ان تختلف عن بقيَّة آليات التوجيه؛ لما تتماز به من اهميَّة في الحراك الثقافي داخل المجتمع الواحد، ولعلَّ المباشرة والتصريح أضعف من غير المباشرة والتلميح.

ومن ينعم النظر في إسلوب السيدة الزهراء عليها السَّلام يجد أسلوب الاستفهام بصيغته الإنكاريَّة أو التوضيحيَّة من أكثر الأساليب التوجيهية المرشِدة للمتلقي تقدمها بطريقة حجاجيَّة تمنح المتلقي التأمل والتفكير على جميع المستويات، وبشكل يفوق المباشرة بتحديد موضع الخطأ والصواب (العارضي، ٢٠٢٣م)، ومن بين الأمثلة الكثيرة التي تؤكد هذه الحقيقة ما نجده في قولها عليها السَّلام: ((وَزَعَمْتُم أن لا حق ولا إِرْثَ لي مِنْ أَبِي وَلا رَحِمَ، أَفَخَصَّكُمُ اللّهُ بآيةٍ أَخْرَجَ نبيه صلى الله عليه مِنْهَا؟ أَمْ تَقُولُونَ: أَهْلَ ملَّتَين لا يَتَوارَثَانِ؟ أَوَ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؟ لعلكم أَعْلَمُ بِخُصُوصِ القُرآنِ وَعُمُومِهِ مِن النبي صلى الله عليه أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ

DOI:

وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) (ابن طيفور، ١٩٠٨م)، فأضاف الفن الحجاجي بطريقة إسلوب الاستفهام تقنيَّة توجيهية في الخطاب الفاطمي؛ لما يحققه هذا الفن من إثارة وكد للذهن، بوصفه آلية مهمة من ((الآليَّات التَّوجيهيَّة التي سيتكرَّر حضُورها في تحليلاتِنا التَّداوليّة لمقامَات المُتكلِّمين في الخطاب القُرآني ؛ لِما يُقدِّمه من وظيفَة توجيه مُباشِرة أَو غير مُباشِرة تُساعِد المُتكلِّم في السَّيطَرة على ذهنِ المُخاطَب خاصَّة الأَسئِلة المُغلَقة التي تَتَجَاوز حرفيَّتها إلى مَقاصِد المُتكلِّم ، فغالبًا ما يَخرُج من معناه الحَرفي إلى قوَّة إنجازية غير مُباشِرة)) (العارضي، ٢٠٢٠م)، يجب التركيز على إثارة الذهن بدلا من الاكتفاء بالأجوبة الجاهزة عن الانموذج بطريقة يحددها المسؤول على الفقرة الإعلاميَّة، فعندما نتحدث عن وعي السيدة الزهراء عليها السَّلام في التعامل مع الأحداث يجب أن نركز على تحليل المواقف التي شكلتها في وعي الأمَّة بدل من التمجيد الذي نتيجته طبيعيَّة بعد تحليل الموقف، وهذه التقانة واضحة في التوظيف الفاطمي، فنجد همزة الاستفهام من أكثر الأدوات حضورًا في خطابها الإرشادي، فجاءت ظاهرة ومقدرة، حاملة لمعان مجازيَّة غير مباشرة (الدليمي، ٢٠١١م)، وهذه الآليَّة تخلق في ذهن المتلقي بعدًا قيميًا فكريًا خُلق طبيعيًا من دون المباشرة في اكتسابه جاهزًا، ومن ثم تصبح هذه القيمة جزء لا يتجزأ من شخصيَّة الفرد وكينونته الواعية، وهذا الأمر نصنع نمذجة فكريَّة تطبيقيَّة موازيَّة داخل المجتمع تطبق السلوك الفاطمي بشكل عملي، ومن ثم زيادة مساحة البرامج الإعلاميَّة التي تسلط الضوء على هذا النتاج التطبيقي الحقيقي للأنموذج الفاطمي عن طريق نقل واقعي لقصص واقعية حديثة لنساء يطبّقن هذه القيم الفاطمية، أو عن طريق مساحات تمثيلية قصيرة تعكس قيمة المواقف المستنبطة من هذه الشخصيَّة الأنموذج، ولعلنا في هذا الموضع نتخذ من مسلسل النبي يوسف عليه السَّلام إنموذجًا ناجحًا في وعي الشعوب المسلمة، والذي أحدث تأثيرا عمليًا في ثقافة المسلم على الرغم من كثافة الماكنات الإعلاميَّة الغربيَّة وحداثتها.

***- بناء البرامج الإعلاميَّة على أساس القيم المعرفيَّة لا على أساس المناسبة:**

في كثير من البرامج الإعلاميَّة نجدها تفتح مشروعها التوعوي على أساس القيم الفكرية لا المناسبات التي يمكن أن تحدثها في وعي الفرد والمجتمع، فتروّج على سبيل المثال لا الحصر على مناسبة الوفاة أو الولادة أكثر من القيم المكتسبة من صاحب المناسبة، وفي تصوري هذه الطريقة تحجم من مساحة اختيار المثال في البرامج الإرشاديَّة التوعويَّة، ونفضل التحول إلى البرامج القائمة على أساس القضايا المهمة في حياة الإنسانيَّة من بينها كيفية الحفاظ على وعي الأمة عن طريق وعي الأسرة المسلمة، وكذلك كيفية إدارة القضايا الخلافيَّة بين أبناء المجتمع الواحد، وكيفية الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع، وغيرها من القضايا التي يمكن أن نستنبط تمثلاتها من الأنموذج المثال، ونربطها بقضايا المجتمع، وكيف يمكن أن تكون سلوكيات تلك الشخصيَّة المثال إنموذجًا لحلول كثير من المشاكل والتحديات التي تواجه الفرد والمجتمع.

والحق إن تراث أَهل البيت عليهم السَّلام يشكل العمق التنويري لقضايا الأمَّة، ((فإذا كانت الأمة الإسلاميَّة اليوم تعاني التشرذم والتقهقر والضياع والاختلاف فلأنها أضاعت حبل الأمان الذي أُمرت بالتمسك به)) (الحاكم النيسابوري، ٢٠١٢م)، وهذا الأمر يشكل حقيقة تأريخيَّة موثقة في وعي المسلمين منذ القدم، فروي عن إبن عباس ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((النُّجومُ أَمانٌ لأَهل الأَرض منَ الغَرَق وأَهلُ بيتي أَمانٌ لأُمتي مِن الاختلاف، فإذَا خَالَفتهَا قَبيلةٌ من العَرَب إختلَفوا صارُوا حِزب إبليس)) (الحاكم النيسابوري، ٢٠١٢م) ، فالسيدة الزهراء عليها السَّلام واجهت صمتًا مجتمعيًا مخيفًا اتجاه قضايا عصرها، فوقفت بوجه هذه التحديات، ورفضت الصمت، ونبهت الناس بخطورة ما يحدث بمجموعة من الآليات التي بيناها في المباحث السابقة، والتي يمكن أن تكون علاجًا مع قضايا معاصرة تواجه المرأة المسلمة في العصر الحديث من طريق تحويلها من مستمع أو متلقي مستهلك إلى متلقي منتج بما قدمته السيدة الزهراء من آليات تساعدها لتكون باحثة مبدعة في تبني الحق، ورفض الباطل، ومربيَّة واعيَّة لمضامين تربيتها المستقبلية، وإعلاميَّة متمكنة، وقادرة على كشف النوايا السيئة، وفضح الفساد الفكري الذي يمكن أن تخلقه الماكنات الاعلاميَّة الممولة، وهذا الاقتداء للمثال الفاطمي في تصوري لا يمكن أن يتحقق عن طريق الزيادة أو الإكثار من الحديث عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام، إنَّما يجب التركيز على تحويل المعرفة بالأنموذج إلى وعي حيّ يُمارَس في حياة المرأة في العصر الحديث.

ثانيًا: المحاضرات الإرشاديَّة في المدارس والجامعات العربيَّة:

DOI:

الاقتداء بالمثال الواعي أمر تربوي قيمي يرتبط بكيان الحياة الإنسانيَّة، فكما يحتاج المجتمع لمعرفة الطب، والهندسة، والكيمياء، وغيرها من العلوم، فهو بحاجة قد تكون أكثر أهميَّة لمعرفة القيم التربوية التي يجب تبنيها في حياته اليوميَّة؛ لذلك نحن بحاجة لتفعيل المحاضرات الإرشادية في المدارس والجامعات العربية المعززة أو المثقفة لطريقة اختيار الانموذج في المجتمع؛ فهي خطوة قادرة على تمكين المرأة والرجل في معرفة هذا الأنموذج بوصفه عنصرًا فاعلًا في صناعة الفهم للقيم الإنسانيَّة المؤثرة في وعي المخاطبين.

وهذه المحاضرات الإرشادية يجب أن تعطى لأساتذة يمتلكون الوعي الفكري الواعي المتزن والمعتدل، بما ينسجم مع حاجات العصر ومتطلباته، مع الحفاظ على أصالة المرجعية الإسلامية وعمقها الإنساني، وبطريقة احترافية تستهوي المتلقي، وتمنحه المعرفة، والحق هذه التجربة في تصوري يجب أن لا تختصر على المحاضرات الإرشاديَّة، ففي تجربتنا الطويلة في التدريس، وجدنا تفعيل الأمثلة الحاملة للقيم الإنسانيَّة في الحالات التي تتطلب شرحًا مفصلًا أكثر تأثيرا في الطالب الجامعي؛ لأنها تفاعلت مع وعيه الإنساني، فأصبحت جزء من كينونته المعرفيَّة، فكنت على سبيل المثال عند الحديث عن التصوير البياني في الدرس البلاغي العربي أستعين بأمثلة من خطب الإمام الحسين عليه السَّلام عندما أجد فلسفة الموت متناغمة مع الفن التشبيه في قوله: ((خُطَّ المُوتُ عَلى وِلْدِ آدَمَ مَخَطَّ القِلادِةِ عَلى جِيدِ الفَتَاةِ)) (الحلواني، ١٤٠٨هـ)، أو في قوله: ((كَأَنِّي بِأَوصَالِي تُقَطِّعُهَا عُسْلانِ الفَلَوَات، بِينَ النَوَاوِيسِ وَكَرْبَلاَ فَيمْلاَن مِني أَكْرَاشاً جُوفا وَاجْرِبَةً سُغْبَا...)) (الحلواني، ١٤٠٨هـ)، والأمر منطبق على ما أجده من أمثلة للسيدة زينب عليها السَّلام، وهي موافقة لتجليات الفن البياني الكنائي الحامل لقيمة قوَّة شخصيّة المرأة المسلمة، وثباتها على الموقف على الرغم من صعوبة التحدي والمواجهة، فأنشد لهم قولها في مجلس يزيد: ((أَظَنَنتَ يَا يَزِيدُ حِينَ أُخِذَ عَلِينَا بِأَطْرَافِ الأَرضِ وَأَكنَافِ السَّمَاءِ فَأَصْبَحنَا نُسَاقُ كَمَا تُسَاقُ الأُسَارَى أَنَّ بِنَا هَوَانَاً عَلَّى اللهِ، وَبِكَ عَلِيهِ كَرَامَةٍ؟ وَأَنَّ هَذَا لعَظِيمُ خَطَرَكَ فَشَمَخْتَ بِأَنفِكَ وَنَظَرتَ فِي عَطفِكَ، جَذْلاَناً فَرِحَا حِينَ رَأَيتَ الدُنيَا مُستَوسِقَةً لَكَ، والأُمُورَ مُتَّسِقَةً عَلِيكَ، وَقَد أَمهلتَ وَنَفَّستَ، أَمِنَ العَدلِ يَابنَ الطُلَقَاءِ تَخدِيرُكَ نِسَاءَكَ وَإِمَاءَكَ وَسُوقُكَ بِنَاتِ رَسُولِ اللهِ...)) (الخوارزمي، ٢٠٠٥م)، وهذه المحاولة وثقتها في إحدى بحوثي الأكاديمية الذي حمل عنوان: ((أثر المثال البيَاني في تَعزيز القيَم التربويَّة عند الطلبَة – أمثلة تطبيقيَّة من خطاب النَّهضة الحسينيَّة))، وحملت الدراسة مجموعة من النتائج الإيجابية على مستوى الفهم والتفكير عند الطالب الجامعي.

نستنتج مما تقدم بضرورة إعادة النظر في البرامج الإعلاميَّة التوعويَّة الهادفة الموجهة للإرشاد التربوي، وتنويع آليات التوصيل والتفاعل الأكاديمي القادرة على تقديم الانموذج المثال بطريقة مؤثرة وواعية، ويمكن توظيف هذه الآليات لتحفيز المرأة للاقتداء بالسيدة الزهراء عليها السلام، عندما يُقدَّم بوصفه أنموذجًا تربويًا وإنسانيًا قابلًا للتطبيق، يسهم في بناء فرد واعٍ ومسؤول، ومجتمع متماسك قائم على القيم، وأن نجاح هذا الاقتداء مرهون بفاعلية الآليات الإعلامية والتربوية التي تنقل النموذج من حيّز التنظير إلى حيّز الممارسة.

الخاتمة والنتائج:

في ختام هذا البحث يمكننا القول بأن أغلب البحوث العلميَّة المشاركة في الندوات والمؤتمرات تكاد تفقد قيمتها المعرفيَّة على الرغم مما تنتجه من أفكار ومشاريع قادرة على إحداث كثير من التحولات العلمية في الرؤى والمناهج؛ لندرة المتابعة لهذه الجهود العلميَّة؛ لذلك في ختام هذا البحث أدعو الأخوة الأجلاء في هذا المؤتمر الذي تقيمه الأمانة العامة للعتبة الحسينيَّة المقدسة مع جامعة وراث الأنبياء التي سجلت اسمها بقوَّة لتحمل رسالة علميَّة توعويَّة في هذا المؤتمر إلى الأخذ بجميع ما يقدم من قبل الباحثين لأفكار بحثيّة ناضجة من شأنها إحداث معالجات أو تطورات، وتقديمها للوزارات ذات العلاقة؛ لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، لا سيما وأن هذا المؤتمر يعقد لوضع معالجات حقيقيَّة لمشكلات المرأة المسلمة في العصر الحديث، وبقيادة نخبة متميزة من الأساتذة في اللجان العلميَّة والتحضيريَّة، وفي بحثنا بدَت لنا مجموعة من النتائج منها ما قيدناه في متن البحث، ومنها ما نلخصه لحضراتكم على نقاط:

أولا: قدَّم البحث إنموذجًا قيميًا عاليًا مستنبط من تراث السيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام، ويقدّم معالجة نفسيَّة وقيميَّة متكاملة لتحدّيات المرأة المسلمة، تقوم على ترسيخ التوازن بين الهوية الإيمانيَّة والفاعليَّة الاجتماعيَّة المبنيَّة على القيم الإنسانيَّة العليا.

ثانيًا: كشف البحث عن آلية اشتغال وتطبيق الأنموذج الفاطمي المثال بوصفه إستراتيجيَّة إرشاديَّة معرفيَّة تعالج التحدّيات النفسيَّة والقيميَّة عبر بناء الوعي الذاتي، وتعزيز القدرة على الاختيار الأخلاقي الواعي.

DOI:

ثالثًا: أثبت البحث أنّ شخصية السيدة الزهراء عليها السَّلام تمثّل أنموذجًا تربويًا مُرشِدًا يجمع بين العمق الروحي، والنضج المعرفي، والاتزان السلوكي، بما يجعلها نموذجًا إنسانيًا قابلًا للتطبيق في مختلف السياقات الاجتماعيَّة والثقافيَّة.

رابعًا: توصّل البحث إلى أنّ التحدّيات التي تواجه المرأة المسلمة في العصر الحديث لا تُعالج بالقطيعة مع التراث، وإنّما نحتاج إلى إعادة قراءته قراءة وظيفية تُفعِّل قيمه الإرشادية في الواقع من طريق المزج بين التراث والمعاصرة.

خامسًا: كشف البحث أنّ آليات تطبيق الأنموذج الفاطمي في وعي المرأة تقوم على الانتقال من التلقين إلى النمذجة، ومن الخطاب العاطفي إلى البناء المعرفي، بما يسهم في تقليص الفجوة بين القيم المعلنة والممارسة الواقعيَّة.

سادسًا: بيّنت الدراسة أنّ توظيف الأنموذج الفاطمي في المنظومة التربويَّة والإعلاميَّة يحقّق فاعلية إرشاديَّة مستدامة، قادرة على مواجهة الضغوط النفسيَّة والاجتماعيَّة التي تتعرّض لها المرأة في العصر الحديث.

سابعًا: خلص البحث إلى أنّ الاقتداء الواعي بالسيدة الزهراء (عليها السلام) يمثّل مدخلًا استراتيجيًا لإعادة بناء وعي المرأة المسلمة بوصفها فاعلًا إنسانيًا مسؤولًا، لا متلقّيًا سلبيًا للخطابات المتعارضة.

المصادر والمراجع:

علي فرحان الفكيكي. **العدد (٥٦)، الجزء (١).** – ينظر: القيادة من منظار أئمة أهل البيت (عليهم السلام): الإمام الصادق (عليه السلام) أنموذجًا. النجف : حث منشور في مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد (٥٦)، الجزء (١). صفحة ٤١٥ وما بعدها.

، أحمد بن حنبل؛ رقم أحاديثه ، محمد عبد السلام عبد الثاني. ١٩٩٣م. مسند أحمد. بيروت– لبنان : دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م. صفحة ٣/ ١٨. المجلد ١.

أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور. ١٩٠٨م. بلاغات النساء. القاهرة– مصر : مدرسة والدة عباس الأول، ١٩٠٨م. صفحة ١٦.

—. ١٩٠٨م. بلاغات النساء. القاهرة– مصر : مدرسة والدة عباس الأول، ١٩٠٨م. صفحة ٤١.

الحسين بن محمد الحلواني. ١٤٠٨هـ. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر. قم : مؤسسة الامام المهدي، ١٤٠٨هـ. صفحة ٥٧.

الحسين بنو هاشم. ٢٠١٤م. ينظر: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان. طرابلس– ليبيا : دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٤م. المجلد ١.

الموفق بن أحمد الخوارزمي. ٢٠٠٥م. مقتل الحسين عليه السلام. قم : مؤسسة أنوار الهدى، ٢٠٠٥م. الصفحات ٢/ ٧١–٧٤. المجلد ٣.

صابر الحباشة. ٢٠٠٨م. ينظر: التداولية والحجاج: مداخل ونصوص. دمشق– سوريا : اسم غير معروف، ٢٠٠٨م. المجلد ١.

عامر سعيد الدليمي. ٢٠١١م. ينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيدة الزهراء عليها السلام– دراسة نحوية بلاغية. جامعة بابل : رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم اللغة العربية، كلية التربية، ٢٠١١م.

عبد الحسين أحمد الأميني. ١٩٩٤م. الغدير في الكتاب والسنة والأدب. بيروت– لبنان : مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٤م. المجلد ١.

كامل المغربي. ١٩٩٥م. ينظر: أساسيات في الإدارة. عمان– الأردن : دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م. المجلد ١.

محمد عبد الله الحاكم النيسابوري. ٢٠١٢م. فضائل فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ط١، ٢٠١٢م. ٢٠١٢م. المجلد ١.

DOI:

محمد الحاكم النيسابوري. ٢٠١٢م. الحاكم في المستدرك. ٢٠١٢م. صفحة ٣/ ١٦٢.

محمد سالم محمد الأمين. ٢٠٠٨م. – ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، بنغازي– ليبيا : دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨م. المجلد ١.

محمد عبد الله الحاكم النيسابوري. ٢٠١٢م. فضائل فاطمة الزهراء (عليها السلام). ٢٠١٢م. المجلد ١.

هادي سعدون العارضي. ٢٠١١م. – ينظر: التصوير الفني في خُطب المسيرة الحسينية. النجف الأشرف– العراق : العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١١م. المجلد ١.

هادي سعدون العارضي. ٢٠٢٠م. مقام المتكلم في القرآن الكريم: دراسة تداولية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، ، ٢٠٢٠م. العراق : أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الكوفة، ٢٠٢٠م.

—. **٢٠٢٣م.** ينظر: المقدمات والسلالم الحجاجيَّة في خطب السيدة الزهراء عليها السلام. ٢٠٢٣م. العراق : مؤسسة دار الصادق الثقافية، ٢٠٢٣م. صفحة ٢٤. المجلد ١.

—. **٢٠٢٤م.** ينظر: تقنيَات الحوار في الخطاب النسوي – دراسة تطبيقيَّة في الخُطبَة الفدكيَّة للسيدة الزهراء عليها السَّلام. العتبة الكاظمية المقدسة : المؤتمر العلمي الدولي الثالث عشر ، ٢٠٢٤م.

٢٠١١م. ينظر: أساليب الإنشاء في كلام السيدة الزهراء (عليها السلام) دراسة نحوية بلاغية. العراق : رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١١م.

References

Al-Fakiki, Ali Farhan. (n.d.). *Leadership from the Perspective of the Imams of Ahl al-Bayt (Peace Be Upon Them): Imam al-Sadiq (Peace Be Upon Him) as a Model*. Al-Najaf: Published in *Journal of the Islamic University College*, No. 56, Part 1, p. 415 ff.

Ahmad ibn Hanbal; Hadith numbering by Muhammad Abd al-Salam Abd al-Thani. (1993). *Musnad Ahmad*. Beirut, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, Vol. 1, p. 3/18.

Ibn Tayfur, Ahmad ibn Abi Tahir. (1908). *Balaghat al-Nisa' (Women's Eloquence)*. Cairo, Egypt: Madrasat Walidat Abbas al-Awwal, p. 16.

Ibn Tayfur, Ahmad ibn Abi Tahir. (1908). *Balaghat al-Nisa' (Women's Eloquence)*. Cairo, Egypt: Madrasat Walidat Abbas al-Awwal, p. 41.

Al-Hulwani, Al-Husayn ibn Muhammad. (1408 AH). *Nuzhat al-Nazir wa Tanbih al-Khatir*. Qom: Mu'assasat al-Imam al-Mahdi, p. 57.

Banu Hashim, Al-Husayn. (2014). *Perelman's Argumentation Theory*. Tripoli, Libya: Dar Al-Kitab Al-Jadid Al-Muttahidah, Vol. 1.

Al-Khwarizmi, Al-Muwaffaq ibn Ahmad. (2005). *The Martyrdom of Imam al-Husayn (Peace Be Upon Him)*. Qom: Mu'assasat Anwar al-Huda, Vol. 3, pp. 71–74.

Al-Habashah, Saber. (2008). *Pragmatics and Argumentation: Approaches and Texts*. Damascus, Syria: Publisher Unknown, Vol. 1.

Al-Dulaimi, Amer Saeed. (2011). *Constructive Styles in the Speech of Lady Fatimah al-Zahra (Peace Be Upon Her): A Grammatical and Rhetorical Study* (Unpublished Master's Thesis). Department of Arabic Language, College of Education, University of Babylon, Iraq.

Al-Amini, Abd al-Husayn Ahmad. (1994). *Al-Ghadir fi al-Kitab wa al-Sunnah wa al-Adab (Al-Ghadir in the Qur'an, Sunnah, and Literature)*. Beirut, Lebanon: Mu'assasat al-A'lami, Vol. 1.

Al-Maghribi, Kamil. (1995). *Fundamentals of Management*. Amman, Jordan: Dar Al-Fikr for Publishing and Distribution, Vol. 1.

Al-Hakim al-Naysaburi, Muhammad Abd Allah. (2012). *The Virtues of Fatimah al-Zahra (Peace Be Upon Her)* (1st ed.). Vol. 1.

Al-Hakim al-Naysaburi, Muhammad. (2012). *Al-Mustadrak*. p. 3/162.

DOI:

Al-Amin, Muhammad Salim Muhammad. (2008). *Argumentation in Contemporary Rhetoric: A Study in the Rhetoric of Contemporary Criticism*. Benghazi, Libya: Dar Al-Kitab Al-Jadid Al-Muttahidah, Vol. 1.

Al-Hakim al-Naysaburi, Muhammad Abd Allah. (2012). *The Virtues of Fatimah al-Zahra (Peace Be Upon Her)*. Vol. 1.

Al-Aridi, Hadi Saadoun. (2011). *Artistic Imagery in the Sermons of the Husayni Movement*. Al-Najaf al-Ashraf, Iraq: Al-Atabah Al-Alawiyyah Al-Muqaddasah, Vol. 1.

Al-Aridi, Hadi Saadoun. (2020). *The Speaker's Position in the Holy Qur'an: A Pragmatic Study* (Unpublished Doctoral Dissertation). Department of Arabic Language, College of Arts, University of Kufa, Iraq.

Al-Aridi, Hadi Saadoun. (2023). *Argumentative Premises and Scales in the Sermons of Lady Fatimah al-Zahra (Peace Be Upon Her)*. Iraq: Dar Al-Sadiq Cultural Foundation, Vol. 1, p. 24.

Al-Aridi, Hadi Saadoun. (2024). *Dialogue Techniques in Feminine Discourse: An Applied Study of the Fadak Sermon of Lady Fatimah al-Zahra (Peace Be Upon Her)*. Proceedings of the Thirteenth International Scientific Conference, Al-Kadhimiya Holy Shrine.

Al-Dulaimi, Amer Saeed. (2011). *Constructive Styles in the Speech of Lady Fatimah al-Zahra (Peace Be Upon Her): A Grammatical and Rhetorical Study* (Unpublished Master's Thesis). Department of Arabic Language, College of Education, University of Babylon, Iraq.

DOI: